الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية

م. د. عصام قاسم رشيد

مديرية الرصافة الثانية

Moderation between reliance on cosmic laws and divine will

M. Dr.. Issam Qasim Rashid,

Al-Rusafa Second District 077225379

dr.e.qassim68@gmail.com

07722537914

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية

م. د. عصام قاسم رشيد

مديرية الرصافة الثانية

ملخص:

إن خاصية العدل الإلهي تتضمن الوسطية والتوازن، فقد منَّ الله علينا أن جعلنا أمة وسطا بين الأمم, قال تعالى: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}(البقرة/143)**, فالوسطية من أهم سمات هذه الأمة، ولا غرابة في ذلك كون هذا التشريع صادر عن الله عز وجل, وما صدر عنه تعالى فهو كامل شامل متوازن, سابق لكل الدساتير التي وضعها البشر, قال تعالى: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}(النساء/83)**, وقد شملت الوسطية الأحكام كافة.. العقائدية والعملية والأخلاقية، ومن تلك المفاهيم: [الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية].

الكلمات المفتاحية:

الوسطية: " التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط".

السنن الكونية: (سنن الله وقوانينه ونواميسه التي يدبر على مقتضاها الكون والحياة)[1]، قال تعالى: **{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ}**(يس/40)، فهي الطبيعة الكونية العامة، كون الثلج بارد والنار محرقة.

المشيئة الإلهية: "تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود".

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

Moderation between reliance on cosmic laws and divine will

M. Dr.. Issam Qasim Rashid,

Al-Rusafa Second District 077225379

dr.e.qassim68@gmail.com

summary:

The characteristic of divine justice includes moderation and balance. God has blessed us by making us a middle nation among the nations. God Almighty said: {And thus We have made you a middle nation} oderation is one of the most important characteristics of this nation, and there is no surprise in that, since this legislation It was issued by God Almighty, and what was issued by Him Almighty is complete, comprehensive, balanced, and precedes all constitutions established by humans. God Almighty said: {And if it had been from other than God, they would have found within it much discrepancy} and moderation includes all rulings... doctrinal, practical, and moral. Among those concepts: [Moderation between reliance on cosmic laws and the freedom of divine will]

Keywords:

Moderation: "balance, justice, doing what is right, and the middle ground between excess and deficiency."

Cosmic laws: (God's laws, statutes, and regulations by which He governs the universe and life) ( ), God Almighty said: {It is not for the sun to overtake the moon, nor does the night outstrip the day} (Yasin: 40).

Divine Will: "The manifestation of the Self and the previous providence for the creation of the non-existent or the annihilation of the existing."

أحببت أن أقف في هذا المقال على موضوع مهم وهو التوسط بين العمل بالسنن الكونية والإيمان بتدخل المشيئة الإلهية, فإنها من الأمور المهمة في حياة الإنسان أن يتوازن في أفعاله ومعتقداته, فإن لله سبحانه وتعالى سنن لا تتبدل ولا تتغير وأن الإلمام بخاصية العدل والتوازن والوسطية في أحكام الله عز وجل تبعث الطمأنينة والثبات في نفسية الإنسان وشخصيته وأفعاله، وخاصة إذا نظرنا إلى المناهج البشرية المضطربة, فقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}(البقرة/143)**, أي: " عدلا وخيارا, وما عدا الوسط فأطراف داخل تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين"[2], فالتوسط يتحقق بكل الأبعاد، فهو بمعنى الاعتدال والقصد، أو بمعناه المادي الحسي أو التصور والاعتقاد, فلا غلو في التجرد الروحي, ولا الارتكاس المادي, إنما تمازج وتداخل وتوافق الروح مع الجسد, وتعطى لهذا الكيان [المزدوج الطاقات] حقه المتكامل, فللجسد زاد وللروح زاد, وبهذا التوافق تستقيم حياة البشر وترتقي وتتناسق, قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "**(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)**"[3], وعن أنس بن مالك رضي الله عنه, قال: "**(جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**"[4], ومن صور التوازن ... [التوازن بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية], فكان الناس في ذلك طرفان ووسط.

الطرف الأول:

من قصر نظره على ثبات السنن الكونية، وهي النواميس الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام الكون, قال تعالى:**{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}(الفرقان/2)**, وقال تعالى: { **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**}(يس/27)، واعتمد على ذلك اعتمادا كليا دون أن ينظر إلى المشيئة الإلهية وغفل عن أن الله سبحانه وتعالى الذي ثبت هذه السنن وجعلها مطردة حاسمة قادر متى يشاء كيف يشاء أن يخرق هذه السنن؛ لأنه فعال لما يريد والقادر على كل شيء وهذا الطرف مثل من أفرط في فعل الأسباب وتعلق بها؛ لكن الأسباب موقوفة على تحقق الشروط وانتفاء الموانع، وهذا يقتضي تدخل المشيئة الإلهية، فتوفير كل أسباب الزراعة وتحقيق الشروط لابد له من انتفاء الموانع لكي ينبت الزرع، فغرس البذرة سببا وسقي الماء شرطا وكثرة المطر مثلا قد يمنع من إنبات الزرع، وهذه هي المشيئة الإلهية قال تعالى: {**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)**

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}(الواقعة/ 63)، وقال تعالى: {**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**}(النمل/ 60).

الطرف الثاني:

من نظر الى طلاقة المشية الإلهية ولم يعتبر بثبات السنن الكونية وترتب النتائج على الأسباب فأفرط في نظرته لطلاقة المشية الإلهية مما جعله يفرط في عدم الأخذ بالأسباب والانتفاع من السنن الكونية، بل اعتمد على الخوارق دون أن يبذل الجهد والعمل، زاعما أنه متوكل على الله تعالى, **قال تعالى: { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا**}(الأنفال/69), وقال تعالى: {**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**}(الملك /15)، وقال تعالى: {**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**}(**الأنفال/60**)، قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: "اعقلها وتوكل" [5]، **وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»**[6],

الوسط بين الأمرين:

هو النظر إلى ثبات السنن الكونية والعمل تحت ظلها وبذل الأسباب الممكنة دون التعلق بها وبكونها

لا تنخرق أبدا, بل الإيمان بأن الله عز وجل يخرقها متى يشاء لمن يريد ممن بذل الأسباب والجهد واستنفذ ما في وسعه من العمل والجهد والجهاد كما هي حال النبي صلى الله عليه وآله ومن معه من صحبه الكرام حيث بذلوا الجهد والعمل في سبيل الله عز وجل واستحقوا أن ينصرهم الله عز وجل بجند من عنده ويخرق لهم من السنن الثابتة ما يظن الناس أنها لا تنخرق, قال تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(الأنفال/ 9), فقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة أن الله عز وجل له سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، وهي قوانين تضبط حركات الناس وأعمالهم ويكيفون حياتهم وفقها, قال تعالى: { فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا }(فاطر/43)، وفي مواطن أخرى من القرآن يذكر الله سبحانه إنه فعال لما يريد وإنه متى شاء خرق هذه السنة لمن شاء من عباده كما في قوله تعالى: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (النحل/ 40), وقال تعال:{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ}(البقر/117), وقال تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }(آل عمران/ 40) وقوله تعالى: { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(آل عمران/ 40), وقوله تعالى: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}(الأنبياء/68), وغيرها من الآيات التي تقرر نفوذ مشيئة الله عز وجل وعدم تقييدها بقيد (من السنن الكونية) مما يحسبه الناس قانون لازما لا فكاك منه, لأن من وضع السنن الكونية قادر على خرقها.

المصادر:

القرآن الكريم

1- النكت والعيون لعلي بن محمد الماوردي (ت 450هـ)، نشره: دارالكتب العلمية – لبنان – ط/1

2- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي نشره: مؤسسة الرسالة ط/1 (2000م).

3 – صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، نشره: دار طوق النجاة، ط/ 1(1422هـ).

4 – صحيح ابن حبان، لأبي حاتم، محمد بن حبان التميمي، (ت: 354هـ)، : مؤسسة الرسالة – لبنان ط/2، 1993م

5- السنن الإلهية في السيرة النبوية للدكتور أبو اليسر رشيد كهوس ، نشره دار الكتب العلمية بيروت (ط/1)

6 – حركة التاريخ في القرآن الكريم لعامر الكفيشي، نشره: دار الهادي للطباعة والنشر- بيروت(ط/1)

مجلة دراسات العلوم

1. ينظر: السنن الإلهية في السيرة النبوية(46)، حركة التاريخ في القرآن الكريم(226).
2. ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي(199/1)، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي(70/1).
3. رواه : البخاري في صحيحه (16/1).
4. المصدر السابق(2/7).
5. رواه : ابن حبان في صحيحه(510/2)
6. رواه البخاري (123/2